تحقيق دلالة
آية التطهير

السيد علي أبوالحسن

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد فقد قال -تعالى- "**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَّ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً * يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللهَّ يَسِيراً * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهَّ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً * يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللهَّ وَرَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللهُّ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً * وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللهَّ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَّ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً**"[1].

---

[1] الأحزاب:٢٨-٣٤.

وقد اشتملت هذه الآيات على قوله -جل وعلا- **"إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"**، وهو مما وقع محلا لعناية الشيعة في مقام الاستدلال على عصمة أهل البيت -عليهم السلام- وعلو منزلتهم.

وهذه محاولة لبيان مفاد الآية وبيان الوجه في دلالتها جريت فيها على تقرير دلالة الآية معتمدا على القرائن المتصلة والمنفصلة، وسعيت للجواب عن الشبهات المطروحة في مقابل حجة الأصحاب في دلالة الآية.

سبب النزول

ليتضح الكلام في مفاد الآية يحسن بيان سبب النزول مع لفت النظر إلى جملة من التوضيحات المتعلقة بالآية.

أجمع المسلمون أن سبب نزول هذه الآيات أن نساء النبي –صلى الله عليه وآله– غاضبنه ثم اعتزلهن شهراً، فأمره الله –تعالى– بأن يخيّر نساءه بقوله –تعالى– **"قل لأزواجك ..."**.

روى الكليني بسند موثق **"**محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر –عليه السلام– يقول: إن الله –عز وجل– أنف لرسول الله –صلى الله عليه وآله– من مقالة قالتها بعض نسائه، فأنزل الله آية التخيير، فاعتزل رسول الله – صلى الله عليه وآله– نساءه تسعا وعشرين ليلة في مشربة أم إبراهيم، ثم دعاهن، فخيّرهن، فاخترنه، فلم يك شيئا، ولو اخترن أنفسهن كانت واحدة بائنة، قال: وسألته عن مقالة المرأة ما هي؟ قال: فقال: إنها قالت: يرى محمد أنه لو طلقنا أنه لا يأتينا الأكفاء من قومنا يتزوجونا"[1].

وروى مسلم "وحدثنا زهير بن حرب، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا زكرياء بن إسحاق،

---

[1] محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج١١ ص٦٧٧ ح١٠٩٨٤.

حدثنا أبو الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فوجد الناس جلوسا ببابه، لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر، فدخل، ثم أقبل عمر، فاستأذن فأذن له، فوجد النبي -صلى الله عليه وسلم- جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا، قال: فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها، فوجأت عنقها، فضحك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما ليس عنده؟! فقلن: والله لا نسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئا أبدا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرا -أو تسعا وعشرين-، ثم نزلت عليه هذه الآية **"يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ"** حتى بلغ **"لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً"**، قال: فبدأ بعائشة، فقال: يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله، والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتا، ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا"[١].

---

[١] مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، ح١٤٧٨.

توضيحات تتعلق بالآيات

[أ] المتعة في قوله -تعالى- **"أمتّعكن"** هي مال يعطى للمرأة المطلّقة، والسراح في قوله -تعالى- **"أسرّحكن سراحاً جميلا"** هو التطليق بلا مخاصمة ولا إيذاء.

[ب] قوله -تعالى- **"وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَّ ورَسُولَهُ والدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَّ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً"** يدل على أن من لم تختر هذا الخيار لا آخرة لها، وقوله **"لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ"** يقتضي المنع من أن يُفهم من الآيات أن من لم يطلّقها النبي لها الدار الآخرة، وإنما ذلك للمحسنات من نساء النبي -صلى الله عليه وآله- فقط.

[ج] قوله -تعالى- **"يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللهَّ يَسِيراً وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهَّ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً"** يدل على أن لنساء النبي -صلى الله عليه وآله- موقعا خاصا ومكانة خاصة، فلا عسر على الله -جل وعلا- في أن يجعل جزاء ذنبهنّ جزاءَ ذنبين، ويجعل جزاء طاعتهن جزاءَ طاعتين.

[د] وقع الخلاف في الوقف في قوله -تعالى- **"يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً"**، فوقف البعض على

"**اتَّقَيْتُنَّ**" بحيث تصير جملة "**لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ**" جملة واحدة، ويكون ما بعدها مترتبا عليها، ووقف البعض على "**النِّساءِ**" بحيث تصير "**لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ**" جملة مستقلة، وما بعدها "**إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ** ..." جملة أخرى مترتبة عليها.

والظاهر أن الوجه الثاني بعيد؛ لأنه لا يظهر معنى محصّل لجعل التقوى شرطا لعدم الخضوع بالقول، فالأمر بعدم الخضوع مطلق غير مقيّد بشرط، وأما الوجه الأول فمعناه قريب، وهو أن لنساء النبي –صلى الله عليه وآله– منزلة عالية إن اتقين واتصفن بالتقوى، ولنيل هذه المنزلة العالية يتحتّم عليهن عدم الخضوع بترقيق القول لكي لا يطمع الذي في قلبه مرض بالباطل، ويجب عليهن التكلّم بما هو مستحسن ومقبول.

[هـ] "**وَقَرْنَ**" في قوله –تعالى– "**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**" من القرار والاستقرار، وجاء في كتب المخالفين أن الله أذن لنساء النبي بعدها بالخروج لقضاء الحاجة، فقد روى البخاري بسنده "حدثنا فروة بن أبي المغراء، حدثنا علي بن مسهر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: خرجت سودة بنت زمعة ليلا، فرآها عمر فعرفها، فقال: إنك والله يا سودة ما تخفين علينا، فرجعت إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، فذكرت ذلك له، وهو في حجرتي يتعشى، وإن في يده لعرقا، فأنزل الله عليه، فرفع عنه وهو يقول: قد أذن الله لكنّ أن تخرجن لحوائجكن"[١]، فيُفهم من القرارِ القرارُ في البيت وعدم الخروج منه.

---

[١] محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ح٥٢٣٧.

[و] التبرّج في قوله -جل وعلا- **"وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى"** هو إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب، وتبرج الجاهلية هو قيد توضيحي لبيان حقيقة التبرج، فكل تبرّج هو في حقيقته تبرج الجاهلية الأولى، وهي السابقة المتقدمة على الإسلام، وذكر الأولى قد يناسب إمكانية وجود جاهلية ثانية كما أشير إليه في بعض الأخبار.

[ز] ثم قال -تعالى- **"وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللهَّ وَرَسُولَهُ"**، ولا يخفى أن ذكر الإطاعة في هذا الموضع من عطف العام على الخاص، والغرض تعميم التكليف لكل إطاعة لله وتوكيد مفاد الأوامر السابقة.

[ح] سيأتي التفصيل -إن شاء الله- في قوله -تبارك وتعالى- **"إِنَّما يُرِيدُ اللهُّ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"**.

[ط] الظاهر أن معنى الذكر في قوله -سبحانه- **"وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللهَّ وَالْحِكْمَةِ"** هو التوجّه والالتفات والضبط، فالمعنى "التفتن واحفظن واضبطن وتوجهن لما يُتلى في بيوتكن"، وليس المراد به الأمر بالتبليغ للناس؛ فإنه لم يعرف من نساء النبي -صلى الله عليه وآله- التصدّي للتبليغ إلا عائشة، وليس من المحتمل أن يترك عامة نساء النبي -صلى الله عليه وآله- امتثال هذا التكليف، فالمراد ذكر الله في القلب والالتفات إليه.

[ي] اللطيف في قوله -سبحانه- **"إِنَّ اللهَّ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً"** هو الخفي، قال -تعالى-

"**فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً**"[١]، أي "وليتخفَّ"، فالله لطيف أي خفي، ولكنه -تعالى- موجود وحاضر وخبير، ويُفهم من هذه الجملة في الآيات نوعُ تهديد بعلمه -سبحانه وتعالى- بما يعمله نساء النبي -صلى الله عليه وآله- وغيرهن في السر والعلانية، فهو -سبحانه- عالم بالسر وأخفى، فلا ينبغي أن يُعصى.

[١] الكهف: ١٩

تعيين المراد بـ"أَهْل الْبَيْتِ" في الآية

قال -تعالى- في الآيات المتقدمة "**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**".

يوجد **مساران** للتعامل مع هذا المقطع من الآيات الشريفة، ومرجع هذا إلى الاختلاف في تعيين المخاطب في الآيات:

المسار الأول: المخاطب هو نساء النبي -صلى الله عليه وآله- -سواء أُلحق بالمخاطب بعد ذلك أصحاب الكساء الخمسة أم لا-، وفي هذه الحالة سيصبح الغرض من بيان هذه الأحكام التي سبقت هو تطهير النساء، فالتزمن بها يا نساء النبي لكي يذهب عنكم الرجس وتتطهّرن، فيصبح حالها كحال آية الوضوء، فبعد بيان حكم الوضوء قال -تعالى- "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ما يُرِيدُ

اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"[١]، فيكون الغرض الطهارة وسببها الوضوء، وكذلك في آية التطهير يكون الغرض الطهارة وسببها الالتزام بالأحكام التي جاءت قبلها.

المسار الثاني: المخاطب هو جماعة أخرى مغايرة لنساء النبي -صلى الله عليه وآله-، وليس الغرض من ذكر الجملة بيان الغاية من الأوامر السابقة وبيان ما يترتب عليها، بل الغرض بيان ما يريد الله -سبحانه وتعالى- تحقيقه في الخارج.

تنبيه: يجري في بعض الكتب التعبير عن الإرادة وفق المسار الأول بالإرادة التشريعية، ويعبرون عن الإرادة وفق المسار الثاني بالإرادة التكوينية، ونحن لم نجر على هذه المصطلحات لأن الغرض بيان المعنى العرفي من الآيات بعيدا عمّا قد تسبّبه بعض المصطلحات من الإشكال في بعض الموارد.

المتعيّن من هذين المحتملين في الآية هو الثاني، فالمراد بأهل البيت المخاطبين في الآية غير نساء النبي -صلى الله عليه وآله-، وسيأتي تعيينهم -إن شاء الله-، والمهم هنا بيان أنهم غير نساء النبي -صلى الله عليه وآله-، ويمكن تقريب ذلك بثلاث عشرة قرينة يمكن بمجموعها -بل ببعضها- القطع بإرادة جماعة مغايرة لنساء النبي -صلى الله عليه وآله-.

---

[١] المائدة: ٦

[تغيّر العنوان المتعلق للخطاب]

القرينة الأولى: تغيّر العنوان الواقع متعلّقاً للخطاب، فقد كان الخطاب بقوله **"يا نساء النبي"** في أكثر من موضع، ولكن عندما جاء إلى مقطع آية التطهير قال **"أهلَ البيت"**.

[تذكير الضمير]

القرينة الثانية: تغيّر الضمير إلى التذكير في قوله **"إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"** مع أنه جاء مؤنثا في الآيات السابقة والآيات اللاحقة، وهذا يقتضي مغايرة المخاطب في هذه الجملة.

وقد يُقال بأن التذكير جاء لمراعاة اللفظ كما هو الحال في قوله -تعالى- "إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا" حيث قال "امْكُثُوا" ولم يقل "امكثن" مع أن المراد بالأهل زوجة موسى -عليه السلام-، فذكّر الضمير الراجع إلى المرأة لأنه راجع إلى لفظ مذكّر وإن أريد به النساء، فكذلك الأمر في آيات نساء النبي -صلى الله عليه وآله-، فذكّر فيها الضمير؛ لأن المراد الإشارة إلى النساء بلفظ "أهل البيت" المذكّر.

والصحيح أنه لا مجال لهذه الدعوى في المقام؛ لأن تذكير الضمير وقع قبل المجيء باللفظ المذكّر **"أَهْلَ الْبَيْتِ"** الذي يمكن أن يكون ملحوظا، فلاحظ الآية جيدا **"إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"**.

وقد يُقال بأن تذكير الضمير راجع إلى دخول النبي -صلى الله عليه وآله- أو أهل الكساء في أهل البيت الذين هم نساء النبي، فمراعاة لوجود النبي -صلى الله عليه وآله- وحده أو لوجوده

مع علي والحسن والحسين -عليهم السلام- ذُكِّرَ الضمير.

وهذا مما لا معنى له؛ لأنه على تقدير إرادة نساء النبي -صلى الله عليه وآله- من الآية سيكون المعنى أن الغرض من التشريع هو تطهير نساء النبي بالتزامهم بالتشريعات، وهذا معنى لا يقبل أن يدخل فيه غير نساء النبي؛ لأن التشريعات لا تتعلق بغير نساء النبي، فهذا الوجه في غاية الرداءة والضعف.

[رجوع الخطاب إلى التأنيث]

القرينة الثالثة: أن الخطاب رجع إلى التأنيث مباشرة بعد آية التطهير، فقال -جل وعلا- **"وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللهِّ وَالْحِكْمَةِ"**، والملاحظ أنه لم يذكر "نساء النبي" قبل تأنيث الضمير في **"وَاذْكُرْنَ"**، فلو كان المراد من أهل البيت نساء النبي لكان المناسب أن يُكمل بإرجاع الضمير إليهن بالتذكير كما وقع في لفظ **"أَهْلَ الْبَيْتِ"** بقوله **"وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"**.

[اقتضاء توكيد التطهير لحتميّته]

القرينة الرابعة: اشتملت آية التطهير على التوكيد المشدد في قوله -تعالى- **"وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"**، وهذا يقتضي كونه أمرا محسوما محقّقا، فلا يتناسب مع كون جملة **"إِنَّما يُرِيدُ اللهُّ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"** واردة لبيان الغرض من الأوامر السابقة المتعلقة بنساء النبي -صلى الله عليه وآله-؛ لأن تحقق الغرض حينئذ منوط باختيار النساء وفق ما يقتضيه المسار الأول، فهنّ بالتزامهن بهذه الأوامر يطهّرهنّ الله، والمناسب حينئذ أن يُقال "لعلكنّ تتطهّرن" كما جاء نظير ذلك في آية الوضوء "ما يُرِيدُ اللهُّ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلكِنْ

يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ".

[إفراد كلمة "البيت"]

القرينة الخامسة: جاءت كلمة **"الْبَيْتِ"** في آية التطهير مفردة، والملاحظ أن التعبير في الآيات السابقة واللاحقة متعلق بالبيوت، قال -تعالى- في السابق **"وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولى"**، وقال في اللاحق **"وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ..."**، وجاءت آية التطهير مشتملة على الإفراد، قال -سبحانه- **"إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ..."**، ولم يقل "أهل البيوت"، وهذا يقتضي تغاير المخاطب.

[عدم تعارف تعلّق عنوان "أهل البيت" بنساء النبي -صلى الله عليه وآله-]

القرينة السادسة: لم يتعارف تعلق عنوان "أهل البيت" بنساء النبي في عرف المسلمين، فلم تجرِ العادة عن التعبير عنهن بذلك، ولا يتبادر من التعبير بـ"أهل البيت" معنى نساء النبي عند المسلمين مع اختلاف مذاهبهم، ومن ثمّ يُقال: لو كان المراد بـ"أهل البيت" في الآية نساء النبي لصار هذا العنوان علامة عليهن على نحو شائع ذائع؛ فإنه عنوان قرآني مؤصّل، ولا يمكن أن تقتضي طبيعة الأشياء أن يصير العنوان الوارد في نساء النبي مرتبطا بغيرهن على نحو ذائع وشائع بين المسلمين.

وهذا كاشف عن عدم إرادة نساء النبي من الآية كما هو واضح، والحق أن هذه القرينة قاطعة لمن تأملها وأعطاها حقّها.

وقد يُدّعى[١] أن لفظ "أهل البيت" يدل على الزوجات، وقد يُستشهد على ذلك بقوله -تعالى- على لسان ضيف إبراهيم -عليهم السلام- "قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"[٢] وقوله "فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"[٣].

وهذا كما ترى؛ فإنه ليس الكلام في صحة إطلاق "أهل" على الزوجة، وليس الكلام في إطلاق "أهل البيت" على غير أصحاب الكساء، فأهل الرجل زوجه وأخص الناس به، وأهل البيت سكّانه، قال الخليل بن أحمد "أَهْلُ الرجل: زوجه وأخص الناس به، والتَّأَهُّلُ: التزوج،

---

[١] قال ابن تيمية في منهاج السنة ج٧ ص٧٥-٧٦ "والصحيح أن آل محمد هم أهل بيته، وهذا هو المنقول عن الشافعي وأحمد، وهو اختيار الشريف أبي جعفر وغيرهم، لكن هل أزواجه من أهل بيته؟ على قولين هما روايتان عن أحمد: أحدهما: أنهن لسن من أهل البيت، ويروى هذا عن زيد بن أرقم، والثاني -هو الصحيح-: أن أزواجه من آله؛ فإنه قد ثبت في الصحيحين عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه علمهم الصلاة عليه "اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته"، ولأن امرأة إبراهيم من آله وأهل بيته وامرأة لوط من آله وأهل بيته بدلالة القرآن، فكيف لا يكون أزواج محمد من آله وأهل بيته؟! ولأن هذه الآية تدل على أنهن من أهل بيته؛ وإلا لم يكن لذكر ذلك في الكلام معنى".

[٢] هود:٧٣.

[٣] القصص:٢٩.

وأَهْلُ البيت: سكانه، وأَهْلُ الإسلام: من يدين به"[١].

وإنما الكلام في المراد بـ"أهل البيت" في آية التطهير وفي المرتكز الإسلامي، ولا ريب في أنه لا يتعلق بنساء النبي -صلى الله عليه وآله-، وأدنى تأمل يفي بإيضاح الأمر.

على أن إطلاق "أهل البيت" على لسان ضيف إبراهيم -عليهم السلام- متعلق بإبراهيم -عليه السلام- وزوجه، ولم يختص بزوجه، وهذا ظاهر.

[ارتكاز الفضل في الآية]

القرينة السابعة: قام الارتكاز القطعي بين المسلمين على أن الآية فضيلة، فلا ريب عند أحد في دلالة هذه الآية على فضل من نزلت فيهم أيّا كانوا، ولا يخفى أنه وفق المسار الأول لا يكون في الآية فضيلة لمن نزلت فيهم؛ فإن مفاد الآية على المسار الأول هو ثبوت مسؤولية من نزلت فيه الآية تجاه هذه الأوامر بحيث ينبغي أن يلتزم رجاء أن يتحقق في حقه التطهير، وليس هذا من الفضيلة في شيء، والأمر على خلاف هذا وفق المسار الثاني؛ فإن الآية إن كانت منفصلة عن سياق الآيات أمكن أن يكون مفادها فضيلة لمن نزلت فيه، فمع قيام الارتكاز القطعي على اشتمال الآية على الفضل يُعلم أن المسار الثاني هو الصحيح.

[عدم مناسبة ما تعلق بنساء النبي -صلى الله عليه وآله- للفضل]

القرينة الثامنة: تقدم في القرينة السابقة قيام الارتكاز القطعي على أن الآية فضيلة لمن نزلت

---

[١] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مادة "أهل".

فيه، ومن المعلوم أن ما تعلق بنساء النبي -صلى الله عليه وآله- لا يناسب بيان الفضيلة في هذا المقام، فقوله -تعالى- **"إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها"** وقوله -سبحانه- **"أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ"** وقوله -تبارك وتعالى- **"مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ"** وقوله **"لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ"** وسبب النزول كلُّ ذلك لا ينسجم مع بيان الفضيلة، فيُعلم أن بيان الفضيلة لا يتعلق بنساء النبي -صلى الله عليه وآله-، فيكون المراد بـ"أهل البيت" جماعة أخرى مغايرة لنساء النبي -صلى الله عليه وآله-.

[ثبوت نزول آية التطهير باستقلال]

القرينة التاسعة: ثبت نزول آية التطهير باستقلال، روى أحمد بأسانيد فيها الصحيح "حدثنا عبد الله بن نمير، قال: حدثنا عبد الملك -يعني ابن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني من سمع أم سلمة، تذكر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة، فيها خزيرة، فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي والحسين والحسن، فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبري، قالت: وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله -عز وجل- هذه الآية **"إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"** قالت: فأخذ فضل الكساء، فغشاهم به، ثم أخرج يده، فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، قالت: فأدخلت رأسي البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: إنك إلى خير، إنك إلى خير.

قال عبد الملك: وحدثني أبو ليلى، عن أم سلمة مثل حديث عطاء سواء.

قال عبد الملك: وحدثني داود بن أبي عوف أبو الجحاف، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة بمثله سواء"[١].

وروى الترمذي بسند حسن[٢] "حدثنا قتيبة، قال: حدثنا محمد بن سليمان بن الإصبهاني[٣]،

---

[١] أحمد بن حنبل، المسند، ح٢٦٥٠٨.

قال محققو طبعة مؤسسة الرسالة "حديث صحيح وله أسانيد ثلاثة:

أولها: عبد الله بن نمير، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني من سمع أم سلمة.

وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي عن أم سلمة.

وثانيها: عبد الله بن نمير، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن أبي ليلى، عن أم سلمة.

وهذا إسناد صحيح، أبو ليلى هو الكندي، مختلف في اسمه، وهو ثقة.

وثالثها: عبد الله بن نمير، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن أبي الجحاف داود بن أبي عوف، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة. وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وبقية رجاله ثقات، غير داود بن أبي عوف، فهو صدوق.

...".

[٢] قال شعيب الأرنؤوط في تحقيق شرح مشكل الآثار ح٧٧١ "سنده حسن"، وصححه الألباني على ما في صحيح وضعيف سنن الترمذي ح٣٧٨٧.

[٣] قال ابن حجر في التقريب "صدوق يُخطئ".

عن يحيى بن عبيد[١]، عن عطاء بن أبي رباح، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: لمّا نزلت هذه الآية على النبي -صلى الله عليه وسلم- **"إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"** في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير"[٢].

والحديث صريح في نزول الآية مستقلة، وهو يقتضي انفصال الآية عن السياق، ومن ثم يكون المراد بأهل البيت جماعة أخرى غير نساء النبي -صلى الله عليه وآله-.

[منع أم سلمة من الدخول في الكساء]

القرينة العاشرة: منع أم سلمة من الدخول مع أهل البيت -عليهم السلام- عند نزول آية التطهير كما تبيّن في الأخبار السابقة؛ فقد قال النبي -صلى الله عليه وآله- لها "أنت على مكانك،

---

[١] هو يحيى بن عبيد المكي، وقد وقع التصريح بذلك في أسانيد الطبري والطحاوي والطبراني، وهو ثقة.

[٢] محمد بن عيسى الترمذي، الجامع، ح٣٢٠٥.

قال الترمذي "هذا حديث غريب من هذا الوجه من حديث عطاء، عن عمر بن أبي سلمة"، ورواه أيضا ح٣٧٨٧، ثم قال "وفي الباب عن أم سلمة ومعقل بن يسار وأبي الحمراء وأنس بن مالك، وهذا حديث غريب من هذا الوجه"، ورواه الطبري في التفسير ج١٩ ص١٠٦ الطحاوي في شرح المشكل ح٧٧١ والطبراني في الكبير ح٨٢٩٥ بسندهما إلى محمد بن سليمان بن الإصبهاني.

وأنت على خير"، وقوله "أنت على مكانك" ظاهر في النفي، والنبي -صلى الله عليه وآله- في مقام بيان الآية؛ لأنها التو نزلت، فلم يُدخل أم سلمة في بيان الآية الشريفة التي نزلت في بيتها، وهذا يقتضي أن أم سلمة ليست من أهل البيت الذين نزلت فيهم الآية؛ وإلا لم يكن مانع من إدخالها تحت الكساء.

ودعوى أنها لم تدخل لوجود رجل أجنبي -وهو أمير المؤمنين -عليه السلام-- = ليست بشيء؛ لأنه لا يوجد أي مانع من الدخول بعد إمكان جلوسها جهة النبي -صلى الله عليه وآله- ، على أنه لو كانت من أهل البيت وكان المانع من دخولها هو ما ذُكِر لكان من المناسب التنبيه على أنه لا حاجة إلى الدخول أصلا؛ لأنها من أهل البيت، وكان المناسب زجرها لمطالبتها الدخول مع وجود الأجنبي، وهذا كما ترى ليس بشيء، وأم سلمة -رضي الله عنها- أجل من أن تطلب الدخول فيما لا ينبغي مع الرجال الأجانب.

وينبغي الالتفات إلى أن طلبها الدخول معهم يقتضي فهمها ثبوت منزلة عالية لأهل البيت، فأرادت الدخول فيهم، وهذا يقتضي أن الآية فضيلة ومنقبة، فيؤيد ما تقدم في القرينة السابعة.

وربما يُقال بأنه جاء في بعض الأخبار إثبات أن أم سلمة من أهل البيت، روى الطبراني "حدثنا بكر بن سهل الدمياطي، ثنا جعفر بن مسافر التنيسي، ثنا ابن أبي فديك، ثنا موسى بن يعقوب الزمعي، عن هاشم بن هاشم، عن وهب بن عبد الله بن زمعة[1]، عن أم سلمة أن رسول

---

[1] كذا، والصحيح "عبد الله بن وهب بن زمعة".

الله -صلى الله عليه وسلم- جمع فاطمة وحسنا وحسينا -رضي الله عنهم-، ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، قالت أم سلمة: قلت: يا رسول الله، أدخلني معهم، قال: إنك من أهلي"[١].

وهذا الحديث مخالف لبقية الأحاديث التي وردت عن أم سلمة في هذه الحادثة، ومداره على

---

[١] سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، ح٢٦٦٣.

ورواه أيضا في المعجم الكبير ج٢٣ ص٣٠٨ "حدثنا محمد بن محمد بن عقبة الشيباني، ثنا الحسن بن علي الحلواني، ثنا محمد بن خالد بن عثمة، ثنا موسى بن يعقوب الزمعي، عن هاشم بن هاشم بن عتبة، عن عبد الله بن وهب بن زمعة، قال: أخبرتني أم سلمة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جمع فاطمة والحسن والحسين، ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: اللهم هؤلاء أهلي، قالت أم سلمة: قلت: يا رسول الله أدخلني معهم، قال: إنك من أهلي".

ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ح٧٦٣ "حدثنا أبو أمية، حدثنا خالد بن مخلد القطواني، حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي، حدثنا ابن هاشم بن عتبة، عن عبد الله بن وهب، عن أم سلمة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جمع فاطمة والحسن والحسين، ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم جأر إلى الله -تعالى-: رب هؤلاء أهلي، قالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله، فتدخلني معهم؟ قال: أنت من أهلي".

ورواه الطبري في التفسير ج١٩ ص١٠٥ "حدثنا أبو كريب، قال: ثنا خالد بن مخلد، قال: ثنا موسى بن يعقوب، قال: ثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زمعة، قال: أخبرتني أم سلمة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جمع عليا والحسنين، ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم جأر إلى الله، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، أدخلني معهم، قال: إنك من أهلي".

موسى بن يعقوب الزمعي، وهو مختلف فيه[١]، وقد اختلفت ألفاظه من بعض الجهات كما أشرنا في الهامش، ومثل هذا لا يقدّم على الأحاديث الثابتة الصحيحة.

هذا بالإضافة إلى أنه لا دلالة فيه على شيء؛ لأن النبي -صلى الله عليه وآله- حسب الحديث قال "هؤلاء أهل بيتي" وقال عن أم سلمة "إنك من أهلي"، ولم يقل "إنك من أهل بيتي"، فلا يدل على أن أم سلمة من أهل البيت الملحوظين بهذا الكلام.

قال الطحاوي "ففي هذا الحديث قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأم سلمة جوابا منه لها عند قولها له "تدخلني معهم" "أنتِ من أهلي"، فكان ذلك مما قد يجوز أن يكون أراد به أنها من أهله؛ لأنها من أزواجه، وأزواجه أهله، كما قال في حديث الإفك ..."[٢]، ثم ذكر شواهد على ما ذكر، وكلامه صحيح، فليُراجع.

وسيأتي في القرينة الآتية -إن شاء الله- بيان دلالة كلام النبي -صلى الله عليه وآله- على

---

[١] قال ابن حجر في التقريب "موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة المطلبي الزمعي، أبو محمد المدني: صدوق سيئ الحفظ، من السابعة، مات بعد الأربعين".

وتعقبه شعيب الأرنؤوط وبشار عواد معروف في تحرير التقريب "ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد؛ فقد ضعفه ابن المديني، فقال: ضعيف الحديث، منكر الحديث، والنسائي، وقال: ليس بالقوي، والدارقطني، وقال: لا يحتج به، وقال أحمد: لا يعجبني حديثه، ووثقه ابن معين، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو داود: صالح، قد روى عنه ابن مهدي، وله مشايخ مجهولون، وقال ابن عدي: هو عندي لا بأس به وبرواياته".

[٢] أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج٢ ص٢٣٧.

حصر أهل البيت بالخمسة.

[حصر النبي -صلى الله عليه وآله- أهل البيت في أهل الكساء -عليهم السلام-]

القرينة الحادية عشرة: قيام النبي –صلى الله عليه وآله– بتفسير أهل البيت بالخمسة حين نزول الآية بعبارة حاصرة؛ فقد جاء في حديث أم سلمة المتقدم "فأخذ فضل الكساء، فغشاهم به، ثم أخرج يده، فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا"، وجاء في حديث عمر بن أبي سلمة "فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير".

والوجه في الدلالة على الحصر أن النبي –صلى الله عليه وآله– قال "اللهم هؤلاء أهل بيتي"، ولم يقل "اللهم هؤلاء من أهل بيتي"، ولا ريب في دلالة الجملة الأولى على الحصر؛ فإن تعريف المسند –وهو "أهل بيتي"– من الأدلة على الحصر، ففرق بين أن يُقال "هؤلاء هم العلماء" وبين أن يقول "هؤلاء من العلماء" أو "هؤلاء علماء"، ومن الظاهر أن الجملة الأولى تدل على حصر العلماء في المشار إليهم، وكذلك الأمر في قوله –صلى الله عليه وآله–؛ فإنه دال على حصر أهل البيت في المشار إليهم، وهذا يقتضي أن المراد بأهل البيت في الآية هم خصوص أصحاب الكساء –عليهم الصلاة والسلام–.

وقد فهم بعض علماء أهل السنة هذا المعنى من الأخبار، قال الطحاوي "فدلَّ ما روينا في هذه الآثار مما كان من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أم سلمة مما ذكر فيها لم يُرِدْ به أنها كانت مما أريد به مما في الآية المتلوة في هذا الباب، وأن المرادِين بما فيها هُمْ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- وعليٌّ وفاطمةُ وحسنٌ وحُسينٌ -عليهم السَّلامُ- دونَ من سواهم"[١].

ومن عجيب ما قيل في دلالة هذه الأخبار على تعلق آية التطهير بأهل البيت ما ذكره بعض الناس من أن هذه الأخبار لا تدل على أكثر من قراءة النبي -صلى الله عليه وآله- الآية على أصحاب الكساء، كما فيما رواه مسلم "حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير -واللفظ لأبي بكر-، قالا: حدثنا محمد بن بشر، عن زكرياء، عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- غداةً وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: **"إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً""**[٢] أو على الدعاء لهم كما في الأخبار السابقة.

---

[١] أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج٢ ص٢٤٦-٢٤٧.

[٢] مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، ح٢٤٢٤.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ح٣٢١٠٢ وإسحاق بن واهويه في المسند ح١٢٧١ والآجري في الشريعة ح١٦٩٣ وح١٦٩٤ والحاكم في المستدرك ح٤٧٠٧ والبيهقي في السنن الكبرى ح٢٨٥٨ من طريق زكريا بن أبي زائدة عن مصعب بن شيبة.

ولا يخفى أنه لا معنى لهذا الكلام؛ لأنه لا معنى لئن يقرأ النبي -صلى الله عليه وآله- الآية على قوم لا تتعلق بهم الآية، ولا معنى لئن يدعو النبي -صلى الله عليه وآله- لجماعة بمضمون الآية عند نزولها ولا تكون الآية شاملة لهم.

على أن الأخبار تشتمل تصريح النبي -صلى الله عليه آله- بأن هؤلاء -عليهم السلام- أهل بيته.

[اختلاف ظروف نزول آيات النساء مع آية التطهير]

القرينة الثانية عشرة: تبيّن مما تقدم اختلاف ظروف نزول آيات نساء النبي عن آية التطهير، فنزول آيات نساء النبي يتعلق بما يتعلق بمغاضبة النساء للنبي -صلى الله عليه وآله- بما أدى إلى هجرته لأزواجه وتخييرهن، وظروف نزول آية التطهير تتعلق بجمع جماعة معيّنة تحت الكساء في بيت أم سلمة، ولا يخفى الفرق بين الظرفين؛ فلا ريب في أن النبي -صلى الله عليه وآله- لم يكن مهاجرا لأزواجه عند نزول آية التطهير، وإلا لم يكن في بيت أم سلمة.

وهذا يقتضي مغايرة المراد بـ"أهل البيت" عن نساء النبي -صلى الله عليه وآله- كما هو ظاهر.

وقد روي الخبر مقتصرا على خروج النبي -صلى الله عليه وآله- بالمرط المرحل، روى ذلك مسلم في الصحيح ح٢٠٨١ وأحمد في المسند ح٢٥٢٩٥ وأبو داود في السنن ح٤٠٣٢ والترمذي في الجامع ح٢٨١٣ وأبو عوانة في المستخرج ح٨٥٤٩ وغيرهم من نفس الطريق.

[تفسير الإمام الحسن -عليه السلام- للآية]

القرينة الثالثة عشرة: تفسير الإمام الحسن الآية بنفسه -عليه السلام-، روى ابن سعد بسند صحيح "قال: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا العوام بن حوشب، عن هلال بن يساف، قال: سمعت الحسن بن علي وهو يخطب وهو يقول: يا أهل الكوفة، اتقوا الله فينا؛ فإنا أمراؤكم، وإنّا أضيافكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله "إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"، قال: فما رأيت يوما قط أكثر باكيا من يومئذ"[1].

وروى "أخبرنا هشام أبو الوليد الطيالسي، قال: حدثنا أبو عوانة، عن حصين، عن أبي جميلة، أن الحسن بن علي لما استخلف حين قتل علي، فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل، فطعنه بخنجر، وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد وحسن ساجد، قال حصين: وعمّي أدرك ذاك، قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه، فمرض منها أشهرا، ثم برئ، فقعد على المنبر، فقال: يا أهل العراق، اتقوا الله فينا؛ فإنا أمراؤكم وضيفانكم أهل البيت الذين قال الله **"إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"**، قال: فما زال يقول ذاك حتى ما يُرى أحد من أهل المسجد إلا وهو يخن بكاءً"[2].

---

[1] محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، الطبقة الخامسة، ج١ ص٣١٨ ح٢٨٠.
قال المحقق السلمي "إسناده صحيح".

[2] محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، الطبقة الخامسة، ج١ ص٣٢٣ ح٢٨٣.
قال المحقق السلمي "إسناده حسن حيث توبع".

ففي هذا الخبر يبيّن الإمام الحسن -عليه السلام- أن الآية مرتبطة بهم -عليهم السلام-، وبيّن أنّها فضيلة، وفَصَلها عن آيات نساء النبي -صلى الله عليه وآله-، ولم يُشر إلى أن هذا مجرد غرض من التشريع كما هو ظاهر.

وفهمه مثلَ هذا حجة؛ فإنه لا يُقال باجتهاد، وإنما هو أخذ عن رسول الله -صلى الله عليه وآله-.

الخلاصة

ومجموع هذه القرائن **يورث القطع** بأن المسار الأول باطل، ويعيّن المسار الثاني القائل بأنها مخاطبة لجماعة أخرى غير نساء النبي -صلى الله عليه وآله-.

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج١٣ ص٢٦٨ بسنده إلى ابن سعد، ورواه الطبراني في الكبير ح٢٧٦١ بسنده إلى حصين، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج١٣ ص٢٦٩ بسند آخر إلى حصين.

إشكال مجيء الآية في سياق آيات نساء النبي -صلى الله عليه وآله-

تبيّن بما تقدّم المسار الصحيح في فهم المراد من "أهل البيت"، وهنا يرد سؤال متداول: هل من الطبيعي أن تأتي آية تقصد جماعة أخرى ويتغيّر فيها المخاطب في وسط سياق يخاطب نساء النبي -صلى الله عليه وآله- بشكل واضح؟!

الجواب: إن مثل هذا كثير جداً في القرآن الكريم، وهو من أساليب القرآن التي لا تكاد تخلو منها سورة من السور الطويلة، فالأمر طبيعي جداً.

ويمكن الإشارة إلى ذلك ببعض الأمثلة، فمن ذلك قوله -تعالى- "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِّ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَما أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ ما ذَكَّيْتُمْ وَما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ.[١].

فالملاحظ أن قوله -تعالى- "الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ

[١] المائدة: ٣-٤

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً" جاء متوسطا في آية تبيّن حكما شرعيا تُمّمت ببيان لاحق على هذه الجملة المعترضة، وهو قوله -تعالى- "فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ...".

ومن ذلك قوله -سبحانه- "إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى * قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى * قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى * قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى * كُلُوا وارْعَوْا أَنْعامَكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى * مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى * وَلَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها فَكَذَّبَ وَأَبى * قالَ أَجِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكاناً سُوىً * قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتى"[1].

فالملاحظ تغيّر المتكلم من لسان موسى -عليه السلام- الذي كان مخاطِباً لفرعون إلى الله -جل جلاله-، ويفهم ذلك من ضمير التكلم في قوله -تعالى- "فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعامَكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى * مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى".

[1] طه: ٤٨-٦٠

ومن ذلك قوله -تبارك وتعالى- "وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"[1].

فالملاحظ في الآيات الشريفة أن المتكلم في البداية هو لقمان -عليه السلام- مخاطبا ابنه بقوله "يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ"، ثم تغير المتكلم وصار هو الله -تعالى-، فقال "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ ..."، ثم رجع التكلم إلى لقمان بقوله "يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ".

ومن ذلك قوله -جل وعلا- "لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ * بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ * يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ * فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ * وخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلاَّ لا وَزَرَ * إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ * لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ *

---

[1] لقمان: ١٣-١٧

إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ * كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ"[1].

والملاحظ هنا الانتقال إلى خطاب النبي -صلى الله عليه وآله- ثم الرجوع إلى الكلام حول ما يتعلق بالقيامة، وهذا الشاهد ظاهر.

وبهذا يتبيّن أن الإشكال على ما قامت عليه القرائن من نزول آية التطهير في غير نساء النبي -صلى الله عليه وآله- = ضعيف جدا، وراجع إلى عدم الاطلاع على أسلوب القرآن الكريم.

---

[1] القيامة: ١-٢٣

علاقة آية التطهير بالسياق

وينبغي الالتفات هنا إلى أن عدم الوقوف على علاقة آية التطهير بالسياق لا يمثّل إشكالا على إفادة القرائن تعلقَ الآية بأصحاب الكساء -عليهم السلام-؛ فالقرائن المتقدمة حُجة لذاتها، ولا يصح رفع اليد عنها بمجرد عدم فهمنا لعلة ذكر الآية في هذا الموضع من كتاب الله -تعالى-.

ولهذا لم يستشكل أحد في تعلق آية الصفا والمروة بحكم الصفا والمروة رغم غرابة سياقها، قال -تعالى- "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ * إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ"[١]، فهنالك صعوبة واضحة في ربط آية الصفا بسياق الآيات، وقد اضطرب المفسرون في توجيه ذلك، ومع ذلك لم يتردد أحد في الأخذ بمفاد الآية وربطها بأحكام الحج.

هذا بالإضافة أنه يكفي تقديم وجه عُرفي لخطاب أهل البيت -عليهم السلام- في هذا السياق المتعلق بنساء النبي -صلى الله عليه وآله-، وذلك بأن يُقال: إن الالتفات إلى أهل البيت -عليهم السلام- قد يكون واردا للتنبيه على عدم شمول هذه الخطابات الحادة لهم، فهم محل لإرادة إذهاب الرجس والتطهير، فرغم قربهم من نساء النبي -صلى الله عليه وآله- بسكناهم بين بيوت نساء النبي -صلى الله عليه وآله- لم يدخلوا في الخطاب الحادّ الموجه إلى نساء النبي -صلى الله عليه وآله-، ولا ينبغي أن يتوهّم أحد ذلك، ففي المقام نوع من الاستدراك والتنبيه.

وفي هذا الاستدراك والتنبيه رسالة إلى نساء النبي -صلى الله عليه وآله- بأنهن اقترَنّ بمن أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، فينبغي أن يُراعوا هذه المنزلة والمكانة.

---

[١] البقرة: ١٥٥-١٥٩

إشكال كون آية التطهير جزء آية

وقد استشكل البعض فيما ذهب إليه الشيعة من تعلق آية التطهير بأهل البيت -عليهم السلام- ونزولها مستقلة بأن الملاحظ في المصحف أن آية التطهير ليست آية تامة، وإنما هي جزء آية، فالآية هي تمام قوله -سبحانه- "**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**"، فكيف يكون قوله "**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**" نازلا باستقلال عن بقية الآية؟

الجواب أنه لا دليل على أن الآيات لا تنزل إلا تامة، على أن نزول جزء من آية واكتمالها لاحقا أمر واقع في كتاب الله -تعالى-، قال -سبحانه- "وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ ذلِكَ لِمَنْ لَمْ

يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ"[1]؛ فقد نزل ما يتعلق بالإحصار في صلح الحديبية، ونزل ما يتعلق بمتعة الحج في السنة العاشرة من الهجرة؛ إذ لا إشكال في أن متعة الحج لم تُشرّع إلا في السنة العاشرة، ومع ذلك جاء ما يتعلق بذلك في آية سورة البقرة المتعلقة لبيان حكم الإحصار وجواز الحلق لمن به أذى من رأسه.

[1] البقرة: ١٩٦

التزام بعض علماء أهل السنة باختصاص الآية بأصحاب الكساء

قال أبو جعفر الطحاوي "وحديث سعد وما قد ذكرناه معه من الأحاديث في أوَّل هذا الباب معقولٌ بها مَنْ أهلُ الآيةِ المتلوةِ فيها؛ لأنَّا قد أحطنا علماً أنّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا دعا مَنْ دعا من أهله عند نزولِها لم يُبْقِ من أهلها المرادِين فيها أحداً سواهم، وإذا كان ذلك كذلك استحالَ أن يَدْخُلَ معهم فيما أُريدت به سواهم، وفيما ذكرنا من ذلك بيانُ ما وصفنا.

فإن قال قائل: فإن كتاب الله يدل على أن أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- هم المقصودون بتلك الآية؛ لأنه قال قبلها في السورة التي هي فيها "**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ**" إلى قوله "**يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ**" إلى قوله "**الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى**"، فكان ذلك كله يردن به؛ لأنه على خطاب النساء، لا على خطاب الرجال، ثم قال "**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ**" الآية.

فكان جوابنا له أن الذي تلاه إلى آخر ما قبل قوله "**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ**" الآية خطاب لأزواجه، ثم أعقب ذلك بخطابه لأهله بقوله -تعالى- "**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ**" الآية فجاء على خطاب الرجال؛ لأنه قال فيه "**لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ**"، وهكذا خطاب الرجال، وما قبله فجاء به بالنون، وكذلك خطاب النساء، فعقلنا أن قوله "**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ**" الآية

خطاب لمن أراده من الرجال بذلك، ليعلمهم تشريفه لهم ورفعته لمقدارهم أن جعل نساءهم من قد وصفه لما وصفه به مما في الآيات المتلوات قبل الذي خاطبهم به -تعالى-"[١].

وقال الطوفي الحنبلي "أما دلالة السياق على أنهن مرادات من الآية فإنها وإن كان فيها بعض التمسك، لكن ذلك مع النصوص التي ذكرناها على أن أهل البيت خاص بهؤلاء -يعني علي وفاطمة والحسن والحسين- فلا يفيد، ...، وبالجملة فاعتراضات العربية والتخلصات من كلام إلى كلام كثيرة في القرآن على أبدع ما يكون حتى إن الإنسان يظن أن الجملتين المتواليتين منه في معنى واحد وكل واحدة في معنى، ومن استقرأ ذلك ونظر فيه عرفه وحينئذ قوله -عز وجل- **"إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"** وقع اعتراضا وفصلا بين أجزاء خطاب النسوة لما ذكرناه من السنة المبينة لذلك"[٢].

---

[١] شرح مشكل الآثار (ج٢، ص٢٤٧) للطحاوي.

[٢] شرح مختصر الروضة لابن سعيد الطوفي، ج٣ص١١٠-١١١.

توضيح المراد بالآية وبيان دلالتها على العصمة

وبما تقدم يتضح بما لا ريب فيه اختصاص آية التطهير بأهل البيت المغايرين لنساء النبي -صلى الله عليه وآله-، ويتضح أن آية التطهير ذات استقلال في النزول عن بقية الآيات، وحينئذ يحسن بيان مفاد الآية على ما يقتضيه التدقيق اللغوي.

[أ] تدل "**إِنَّما**" على الحصر، ويترتب على ذلك حصر إرادة الله -تعالى- في إذهاب الرجس عن أهل البيت وفي تطهيرهم تطهيراً، فكأن الله لا يريد شيئا غير إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم.

[ب] اللام في قوله -تعالى- "**لِيُذْهِبَ**" زائدة للتوكيد؛ لأن ذلك هو المناسب للمقام؛ فالإرادة متعلقة بنفس الإذهاب، وهذا يقتضي أن تكون اللام زائدة، فيكون المعنى "إنما يريد الله أن يذهب ..."، ولا معنى لدعوى كون اللام للتعليل بحيث تكون الإرادة متعلقة بمحذوف ويكون ما بعد اللام علة لإرادة هذا الشيء المحذوف؛ فإنه لا شاهد على محذوف في المقام، وقد تعارفت الزيادة في اللام في متعلق الإرادة، قال -تعالى- "بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ

أَمَامَهُ"[١]، وقال "مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ"[٢].

والتوكيد في المقام يناسب حتمية تحقق المراد، فهو مما يناسب القرينة الرابعة المتقدمة.

[ج] **"الرِّجْس"** هو القذر، قال -عز وجل- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[٣]، وقال "قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ"[٤]، والشاهد على إرادة هذا المعنى من الآية نفس قرن الرجس بالتطهير في الآية كما هو ظاهر.

[د] الإذهاب هو الإبعاد، والظاهر أن الإذهاب لا يختص بإبعاد ما هو موجود؛ فقد يكون الإذهاب لما هو في معرض المجيء، وهذا نظير ما جاء في قوله -تعالى- "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ"[٥]، فصرف الله عن يوسف -عليه السلام- السوء والفحشاء عندما كان في معرض الوقوع، وليس المراد أن السوء والفحشاء كان موجوداً ثم صُرِف.

---

[١] القيامة:٥.

[٢] المائدة:٦.

[٣] المائدة:٩٠.

[٤] المائد:١٤٥.

[٥] يوسف:٢٤.

والظاهر مجيء هذا في "الإذهاب" في القرآن، قال -تعالى- "وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا"[١]؛ فإن المراد أنهم أذهبوا في الحياة طيّباتهم في الآخرة، فما صنعوه في الدنيا أدى إلى ذهاب الطيبات عنهم في الآخرة، ومن المعلوم أن الطيبات لم تكن عندهم في الآخرة فذهبت، فالمراد بالإذهاب هو الإبعاد.

فكذا الحال في آية التطهير؛ فإن التعظيم لا يتناسب مع ثبوت الرجس ثمّ إذهابه، وهذا ظاهر.

[هـ] التطهير هو التصفية والتنقية، وذكر التطهير بعد الإذهاب يُظهر وجود مرتبة أعلى من مجرد إذهاب الرجس، والظاهر أن التطهير متعلق بنفس الرجس؛ إذ لا بد للتطهير من متعلق، وليس في البين متعلق صريح في المقام غير الرجس، فينبغي أن يتعلق به التطهير، خصوصا بعد ملاحظة التناسب بين معنى الرجس وبين تعلق التطهير به.

[و] يُلاحظ في قوله -تعالى- "**وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**" مجيءُ التطهير مؤكداً بالمفعول المطلق، وهذا يقتضي حتمية المراد كما تقدم بيان ذلك في القرينة الرابعة.

[ز] يلاحظ أن "**الرجس**" معرّف بالألف واللام، وهذا يقتضي العموم، كما في "الإنسان" في قوله -تعالى- "إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"[٢]، وليس في

---

[١] الأحقاف:٢٠.

[٢] العصر:٢

البين ما يقيّد الإطلاق في الآية فيُستفاد من ذلك أن الذي يُذهَب هو مطلق الرجس.

[ح] "**أَهْلَ الْبَيْتِ**" منادى منصوب بـ"يا" محذوفة، فالمقصود "يا أهلَ البيت".

[ط] "**يُرِيدُ**" فعل مضارع، واستعماله في هذا المقام يقتضي إفادة الاستمرار، فإرادة الله إذهاب الرجس والتطهير إرادة مستمرة متجددة بتجدد مقتضياتها.

وبملاحظة مجموع هذه الأمور يتضح أن مفاد الآية هو حصر إرادة الله -تعالى- بتحقيق إذهاب الرجس والقذر بتمام صوره عن أهل البيت وبتحقيق طهارتهم مع الالتفات إلى أن هذه الإرادة مستمرة وحتمية، وهذا مساوق للعصمة كما لا ينبغي أن يخفى.

رد بعض الإشكالات المتعلقة باستفادة العصمة من الآية

بعد أن تبيّنت دلالة الآية على عصمة أهل البيت أصحاب الكساء -عليهم السلام- يحسن في المقام رد بعض الشبهات المتداولة في ذلك لإتمام الحجة وقطع العذر:

[لزوم عصمة الصحابة في بدر]

الإشكال الأول: يلزم القائل بدلالة آية التطهير على العصمة أن يقول بعصمة الصحابة في غزوة بدر[1]؛ فقد طهر الله الصحابة وأذهب عنهم رجز الشيطان، قال -تعالى- "إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ"[2].

الجواب: ينبغي الالتفات إلى أن مفاد آية سورة الأنفال هو إنزال الله -تعالى- الماء ليطهر الله

---

[1] قال بعض الناس في حقبة من التاريخ ص٣٧٥ "وقال -تعالى-: "إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ"، وهؤلاء الثلاثمائة وبضعة عشر يكونون إذاً على مذهب هؤلاء وقياسهم معصومون [كذا]".

[2] الأنفال:١١.

به المؤمنين ويُذهب عنهم رجز الشيطان، وهذا يقتضي كون الطهارة الملحوظة هي طهارة تحصل بالماء، وملاحظة أسباب النزول تبيّن الأمر؛ فقد ورد في سبب النزول أن بعض الصحابة بعدما غشيهم النعاس وناموا أصابتهم جنابة، فشعروا بضيق مع ما هم فيه من شدّة الحال، فأنزل الله عليهم المطر، فاغتسلوا وتطهروا من الجنابة، فكانت نتيجة المطر طهارتَهم من الحدث وزوالَ الاضطراب النفسي الذي تسبّب به الشيطان وتلبيدَ الأرض التي كانت رملية لا تستقر عليها الأقدام، فليس في البين دلالة تقتضي إذهاب مطلق الرجس والتطهير المطلق كما هو الحال في آية التطهير، فالقياس مع الفارق، بل لا علاقة لآية سورة الأنفال بمحل الكلام.

[دعوى كون الإرادة تشريعية]

الإشكال الثاني: ذكر البعض[1] أن الإرادة في الآية إرادة تشريعية، فهي بمعنى أن الله -تعالى- يحب أن يذهب الرجس عن المخاطبين ويحب أن يتطهّر المخاطبون، فيرجع ذلك إلى مطلوبية الالتزام بما يحقق الطهارة وذهاب الرجس.

الجواب: لو كان الأمر كذلك لكانت الآية "إنما يريد الله أن تتطهروا وأن تذهبوا عن أنفسكم الرجس"؛ لأن الإرادة التشريعية تتعلق بأفعال المكلفين، والمذكور في الآية فعل مُسند إلى الله -

---

[1] قال بعض الناس في حقبة من التاريخ ص٣٧٣-٣٧٤ "الآية ليس فيها أن الله أذهب عنهم الرجس؛ لأنّ هذه الإرادة إرادة شرعية، إرادة محبة، وهي غير الإرادة القدرية، يعني الله يحب أن يذهب عنكم الرجس، ولا شك أن الله أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلي وزوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، ولكن الإرادة هنا في هذه الآية هي الإرادة الشرعية".

تعالى-، قال -سبحانه- "**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**"، فلا مجال لكون الإرادة تشريعية.

[الإلزام بالجبر على تقدير الإرادة التكوينية]

الإشكال الثالث: الإرادة في الآية إما تكوينية أو تشريعية، فإن كانت تشريعية لم تدلَّ على وقوع التطهير، وإن كانت تكوينية لزم الجبر؛ لأن تعلق الإرادة التكوينية بشيء يجعله حتميا، فيلزم من ذلك جبر أهل البيت -عليهم السلام- على العصمة، وهو مما لا يمكن الالتزام به، فلا تدل الآية على العصمة[١].

الجواب: هذا الإشكال لا يتعلق بمحل البحث؛ لأن الكلام في ثبوت دلالة الآية على العصمة، وبعد ثبوتها يقع الكلام في أن إرادة الله -تعالى- عصمة بعض العباد يستلزم الجبر أم لا، فإن لم يستلزم -كما هو الصحيح- لم يكن إشكال، وإن استلزم كان الإشكال في مطلق

---

[١] قال ابن تيمية في منهاج السنة ج٧ ص٨٤-٨٥ "وأيضا فالدعاء بالعصمة من الذنوب ممتنع على أصل القدرية، بل وبالتطهير أيضا؛ فإن الأفعال الاختيارية التي هي فعل الواجبات وترك المحرمات عندهم غير مقدورة للرب، ولا يمكنه أن يجعل العبد مطيعا ولا عاصيا، ولا متطهرا من الذنوب ولا غير متطهر، فامتنع على أصلهم أن يدعو لأحد بأن يجعله فاعلا للواجبات تاركا للمحرمات، وإنما المقدور عندهم قدرة تصلح للخير والشر، كالسيف الذي يصلح لقتل المسلم والكافر، والمال الذي يمكن إنفاقه في الطاعة والمعصية، ثم العبد يفعل باختياره: إما الخير وإما الشر بتلك القدرة، وهذا الأصل يبطل حجتهم، والحديث حجة عليهم في إبطال هذا الأصل، حيث دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- لهم بالتطهير".

عصمة بعض عباد الله -تعالى-، لا في خصوص آية التطهير، فلا محل للكلام في الجبر هنا.

والذي نلتزم به أن العصمة المستفادة من آية التطهير هي من سنخ هداية الله -تعالى- لعباده، قال -تعالى- "أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ"[1]، وهي ترجع إلى توفيق يُعلم به التزام الموفَّق بالطاعة اختيارا.

[عدم انسجام الدعاء مع العصمة]

الإشكال الرابع: ورد في جملة من أخبار نزول آية التطهير دعاء النبي -صلى الله عليه وآله- لأهل البيت -عليهم السلام- بإذهاب الرجس والطهارة، ولا معنى للدعاء بما هو محتوم من العصمة، وهذا كاشف عن عدم دلالة الآية على العصمة[2].

الجواب: لا توجد أي منافاة بين الدعاء وبين تحقق معنى الآية، بل بينهما تمام المناسبة؛ فإن الأمور كلها بيد الله، وقد تقدّم بيان دلالة آية التطهير على استمرار إذهاب الرجس والتطهير، وهذا يقتضي الحاجة إلى استمرار فضل الله وعطائه بإذهاب الرجس والتطهير.

---

[1] الزمر:٢٢.

[2] قال ابن تيمية في منهاج السنة ج٧ ص٧١-٧٢ "فإن إرادة الله في هذه الآيات متضمنة لمحبة الله لذلك المراد ورضاه به، وأنه شرعه للمؤمنين وأمرهم به، ليس في ذلك أنه خلق هذا المراد، ولا أنه قضاه وقدّره، ولا أنه يكون لا محالة؛ والدليل على ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد نزول هذه الآية قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"، فطلب من الله لهم إذهاب الرجس والتطهير، فلو كانت الآية تتضمن إخبار الله بأنه قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم لم يحتج إلى الطلب والدعاء".

وهذا نظير الصلاة على النبي -صلى الله عليه وآله-؛ فقد أخبر الله -تعالى- أنه يصلي على النبي -صلى الله عليه وآله-، ومع ذلك أمرنا بالصلاة عليه، قال -تعالى- "إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً"[1]، ومن المعلوم أن صلاة المؤمنين على النبي تكون بالطلب من الله -تعالى- أن يصلي على النبي -صلى الله عليه وآله-، فهل اقتضى ذلك انتفاء حتمية صلاة الله على النبي -صلى الله عليه وآله-؟!

إن هذا راجع إلى سنة من الله في عباده؛ فقد أمرنا الله -تعالى- بدعائه والطلب منه على كل حال، ولذلك لا ينفك المؤمن عن طلب الهداية من الله من دون أن يكون فيه دلالة على أنه ليس بمهتد حين الدعاء، ومن دون دلالة على أنه لا ضمان على استمرار هداية الله -تعالى- له كما هو حال دعاء النبي -صلى الله عليه وآله- لنفسه بالهداية، فكل ما يحتاج إليه العباد من ربهم يحسن طلبه وإن ضمنه الله -تعالى- لهم.

فتحصّل بهذا أنه لا يوجد ما ينافي دلالة الآية على العصمة، بل تحصّل أن ما ذكر في مناقشة مفاد الآية أمر في غاية الضعف والسقوط.

---

[1] الأحزاب:٥٦.

إشارة إلى الأخبار الواردة في الآية

ورد ارتباط آية التطهير بالخمسة أصحاب الكساء من طريق ثلاثة عشر صحابيا على الأقل، ويوجد على الأقل اثنا عشر طريقا عن أم سلمة وحدها، فالحديث متواتر في أصله ومتواتر عن خصوص أم سلمة، والكلام في هذه الأحاديث سندا ودلالة يحتاج إلى بسط رسالة خاصة في ذلك، والله الموفق لذلك.

ويحسن في المقام ذكر خبرين متعلقين بنزول الآية في أصحاب الكساء -عليهم السلام- أحدهما من طرقنا والثاني من طرق العامة.

[صحيح أبي بصير في الإمامة]

روى الكليني بسند صحيح "علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس؛ وعلي بن محمد، عن سهل بن زياد أبي سعيد، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله -عليه السلام- عن قول الله -عز وجل- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ"[1]، فقال نزلت في علي بن أبي طالب والحسن

[1] النساء:٥٩.

والحسين -عليهم السلام-، فقلت له: إن الناس يقولون: فما له لم يسم عليا وأهل بيته -عليهم السلام- في كتاب الله -عز وجل-؟

قال: فقال: قولوا لهم: إن رسول الله -صلى الله عليه وآله- نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثا ولا أربعا حتى كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- هو الذي فسر ذلك لهم.

ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهما درهم حتى كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- هو الذي فسر ذلك لهم.

ونزل الحج فلم يقل لهم: طوفوا أسبوعا حتى كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- هو الذي فسر ذلك لهم.

ونزلت "أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ"، ونزلت في علي والحسن والحسين، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله- في علي: من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال -صلى الله عليه وآله-: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي؛ فإني سألت الله -عز وجل- أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما علي الحوض، فأعطاني ذلك، وقال: لا تعلموهم فهم أعلم منكم، وقال: إنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة.

فلو سكت رسول الله -صلى الله عليه وآله- فلم يبين مَن أهل بيته لادعاها آل فلان وآل فلان، ولكن الله -عز وجل- أنزله في كتابه تصديقا لنبيه -صلى الله عليه وآله- **"إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"**، فكان علي والحسن والحسين وفاطمة -عليهم السلام-، فأدخلهم رسول الله -صلى الله عليه وآله- تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم

قال: اللهم إن لكل نبي أهلا وثقلا، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي، فقالت أم سلمة: ألست من أهلك؟ فقال: إنك إلى خير، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي.

فلما قُبِضَ رسول الله -صلى الله عليه وآله- كان علي أولى الناس بالناس لكثرة ما بلّغ فيه رسول الله -صلى الله عليه وآله- وإقامته للناس وأخذه بيده، فلما مضى علي لم يكن يستطيع علي ولم يكن ليفعل أن يدخل محمد بن علي ولا العباس بن علي ولا واحدا من ولده، إذاً لقال الحسن والحسين: إن الله -تبارك وتعالى أنزل- فينا كما أنزل فيك، فأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك، وبلّغ فينا رسول الله -صلى الله عليه وآله- كما بلّغ فيك، وأذهب عنا الرجس كما أذهبه عنك.

فلما مضى علي -عليه السلام- كان الحسن -عليه السلام- أولى بها لكبره، فلمّا توفي لم يستطع أن يدخل ولده ولم يكن ليفعل ذلك والله -عز وجل- يقول "وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ"[1] فيجعلها في ولده، إذاً لقال الحسين: أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك، وبلّغ فيّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- كما بلّغ فيك وفي أبيك، وأذهب الله عني الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك.

فلمّا صارت إلى الحسين -عليه السلام- لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدّعي عليه كما كان هو يدّعي على أخيه وعلى أبيه لو أرادا أن يصرفا الأمر عنه ولم يكونا ليفعلا، ثم صارت حين أفضت إلى الحسين -عليه السلام-، فجرى تأويل هذه الآية "وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى

---

[1] الأحزاب:٦.

بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ"، ثم صارت من بعد الحسين لعلي بن الحسين، ثم صارت من بعد علي بن الحسين إلى محمد بن علي -عليه السلام-.

وقال: الرجس هو الشك[١]، والله لا نشك في ربنا أبدا"[٢].

---

[١] ينبغي الالتفات إلى أن ما جاء في هذا الخبر لا يتنافى مع ما ذكرناه في تفسير الرجس بالقذر؛ فقد ذكرنا أن مقتضى ذكر التطهير في الآية أن الرجس بمعنى القذر، وحينئذ يكون تفسيره بالشك في هذا الخبر وغيره من الأخبار لبيان كيفية انتفاء القذر؛ فلا يبعد أن تكون حقيقة العصمة راجعة إلى مرتبة من اليقين بالله -تعالى- بما يؤدي إلى عدم صدور المعصية من الموقِن، قال -تعالى- "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" [يوسف:٢٤]، فرؤية برهان الرب نوع يقين يقتضي صرف السوء والفحشاء، والأمر كذلك في المقام على ما يقتضيه الجمع بين الأدلة.

[٢] محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٢ ص٧ ح٧٥٩.

ثم قال الكليني "محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد والحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبي، عن أيوب بن الحر وعمران بن علي الحلبي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله -عليه السلام-، مثل ذلك".

ورواه العياشي في سورة النساء ح١٦٩ وح١٧٠ مرسلا عن أبي بصير، وقد ساق الحسكاني في شواهد التنزيل ح٢٠٣ سند العياشي، قال "أبو النضر العياشي، قال: حدثنا حمدان بن أحمد القلانسي، قال: حدثنا محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة، عن إسحاق بن عمار، عن أبي بصير، ..."، ورواه فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره ح١١٢ ونسخته محذوفة الأسانيد.

[خبر ابن عباس في جملة من فضائل أمير المؤمنين -عليه السلام-]

روى أحمد بسند حسن "حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بَلْج[١]، حدثنا

---

[١] قال ابن حجر في التهذيب "أبو بلج الفزاري الواسطي، ويقال: الكوفي، الكبير، واسمه يحيى بن سليم بن بَلج، ويقال: ابن أبي سليم، ويقال: يحيى بن أبي الأسود.

روى ...

وقال ابن معين وابن سعد والنسائي والدارقطني: ثقة.

وقال البخاري: فيه نظر.

وقال أبو حاتم: صالح الحديث لا بأس به.

وقال ابن سعد: قال يزيد بن هارون: قد رأيت أبا بلج، وكان جارا لنا، وكان يتخذ الحمام يستأنس بهن، وكان يذكر الله -تعالى- كثيرا.

قلت: وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يخطئ.

وقال يعقوب بن سفيان: كوفي لا بأس به.

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني وأبو الفتح الأزدي: كان غير ثقة.

ونقل بن عبد البر وابن الجوزي أن ابن معين ضعفه.

وقال أحمد: روى حديثا منكرا.

وقال الفسوي في تاريخه: ثنا بندار، عن أبي داود، عن شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو، وقال: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، قال ثابت البناني: سألت الحسن عن هذا، فأنكره".

قلت: تُضاف إلى كلامه بعض النصوص:

قال أبو أحمد الحاكم في الأسامي والكنى "أبو بَلج، ويُقال: أبو صالِح يحيى بن أبي سُلَيم، ويقال: ابن أبي

الأَسود الفَزارِي الكُوفِي، ويُقال: الواسِطي،

عن أبي القاسم محمد بن حاطب الجُمَحِي وأبي عبد الله عمرو بن ميمون الأَودي، ضعفه أَحمد بن حنبل، روى عنه ...".

وقال ابن عدي "ولأبي بلج غير ما ذكرت، وقد روى عن أبي بلج أجلة الناس مثل شعبة، وأبو عوانة وهشيم، ولا بأس بحديثه".

ونص ابن حبان الذي أشار له ابن حجر "يحيى بن أبي سليم أبو بلج الفزاري، من أهل الكوفة، وقد قيل: إنه واسطي، ...، كان ممن يخطئ، لم يفحش خطؤه حتى استحق الترك، ولا أتى منه ما لا ينفك منه البشر، فيسلك به مسلك العدول، فأرى أن لا يحتج بما انفرد من الرواية فقط، وهو ممن أستخير الله فيه".

أقول: المستفاد من مجموع الكلمات أن الرجل صدوق حسن الحديث؛ فقد وثقه ابن معين وابن سعد والنسائي والدارقطني، وذكر أبو حاتم أنه صالح الحديث، ونفى الفسوي وابن عدي عنه البأس، ولا عبرة بما نقله ابن الجوزي من تضعيف ابن معين؛ فإنه مرسل مخالف لما في الرواية عن ابن معين، ولا عبرة بتضعيف أحمد الذي نقله أبو أحمد الحاكم؛ فإنه غير مفسّر، ولا عبرة بقول ابن البخاري "فيه نظر"؛ فقد تقدّم في ترجمة عباد بن عبد الله الأسدي في القسم الأول من الكتاب عدم دلالة هذا القول على الضعف، ولا عبرة بتضعيف الأزدي والجوزجاني؛ فالأول غير ثقة، والثاني ناصب يحط على أهل الكوفة، وجرحهما غير مفسّر، ولا عبرة بتضعيف ابن حبان؛ فابن حبان متشدد، وفي تضعيفه تردّد، فدقق في قوله جيدا، ورواية الثقة حديثا منكرا لا تضر؛ إذ لا يخلو من الخطأ والاضطراب أحد.

فالرجل صدوق حسن الحديث لا يصح أن يؤخذ عليه إلا الخطأ في الحديث بعد الحديث، ولذلك قال ابن حجر "صدوق يُخطئ"، وقال محررا التقريب "صدوقٌ حسن الحديث".

فمن الغريب ما جاء في تحقيق الأرنؤوط وبشار معروف ومن كان معهما للمسند من تضعيف هذا الحديث بتضعيف أبي بلج، قالوا "إسناده ضعيف بهذه السياقة، أبو بلج -واسمه يحيى بن سليم أو ابن أبي سليم- وإن وثقه غير واحد قد قال فيه البخاري: فيه نظر، وأعدل الأقوال فيه أنه يقبل حديثه فيما لا ينفرد به كما قال ابن

عمرو بن ميمون، قال: إني لجالس إلى ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا: يا أبا عباس، إما أن تقوم معنا، وإما أن يخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدؤوا فتحدثوا، فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل له عشر.

وقعوا في رجل قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: لأبعثن رجلا لا يخزيه الله أبدا، يحب الله ورسوله، قال: فاستشرف لها من استشرف، قال: أين علي؟ قالوا: هو في الرحى يطحن، قال: وما كان أحدكم ليطحن؟ قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، قال: فنفث في عينيه، ثم هز الراية ثلاثا، فأعطاها إياه، فجاء بصفية بنت حيي.

قال: ثم بعث فلانا بسورة التوبة، فبعث عليا خلفه، فأخذها منه، قال: لا يذهب بها إلا رجل مني، وأنا منه.

قال: وقال لبني عمه: أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ قال: وعلي معه جالس، فأبوا، فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، قال: أنت وليي في الدنيا والآخرة، قال: فتركه، ثم أقبل على رجل منهم، فقال: أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ فأبوا، قال: فقال علي: أنا أواليك في الدنيا

حبان في المجروحين، وفي متن حديثه هذا ألفاظ منكرة، بل باطلة لمنافرتها ما في الصحيح، ولبعضه الآخر شواهد"، مع أنهما حسّنوا أحاديثه (لاحظ ح٦٤٧٩ وح٦٩٥٩ وح٦٩٧٣ وح٧٩٦٦ وح٧٩٦٧ وح٨٤٢٦ وح٨٦٦٠ وح٨٧٥٣ وح٩٢٣٣ وح١٠٧٣٨ وغير ذلك)! وحكموا على روايته بالحسن في تحرير التقريب!

والحق أن رجوع الأمر إلى فضائل علي -عليه السلام- يقلب موازين القوم، فلا عتب ولا غضاضة.

والآخرة، فقال: أنت وليي في الدنيا والآخرة.

قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة.

قال: وأخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثوبه، فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: **"إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"**.

قال: وشرى علي نفسه، لبس ثوب النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فجاء أبو بكر وعلي نائم، قال: وأبو بكر يحسب أنه نبي الله، قال: فقال: يا نبي الله، قال: فقال له علي: إن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- قد انطلق نحو بئر ميمون، فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر، فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يُرمى بالحجارة كما كان يُرمى نبي الله، وهو يتضوّر، قد لف رأسه في الثوب، لا يخرجه حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للئيم، كان صاحبك نرميه فلا يتضوّر، وأنت تتضوّر، وقد استنكرنا ذلك.

قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي: أخرج معك؟ قال: فقال له نبي الله: لا، فبكى علي، فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي؟ إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي.

قال: وقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أنت وليي في كل مؤمن بعدي.

وقال: وسد أبواب المسجد غير باب علي، فقال: فيدخل المسجد جنبا، وهو طريقه ليس له طريق غيره.

قال: وقال: من كنت مولاه، فإن مولاه علي.

قال: وأخبرنا الله -عز وجل- في القرآن أنه قد رضي عنهم، عن أصحاب الشجرة، فعلم ما في قلوبهم، هل حدثنا أنه سخط عليهم بعد؟ قال: وقال نبي الله -صلى الله عليه وسلم- لعمر حين قال: ائذن لي فلأضرب عنقه، قال: وكنت فاعلا؟ وما يدريك، لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم"[1]

---

[1] أحمد بن حنبل، المسند، ح٣٠٦١ وح٣٠٦٢.

ثم قال "حدثنا أبو مالك كثير بن يحيى، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، نحوه"، ورواه في فضائل الصحابة ح١١٦٨ بنفس السند، ورواه الحاكم في المستدرك ح٤٦٥٢ بسنده إلى أحمد، ورواه النسائي في الكبرى ح٨٣٥٥ والآجري في الشريعة ح١٤٨٨ من طريق يحيى بن حماد، ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ح٤٠٨٣ عن النسائي.

وقد تم تقطيع الخبر في الكتب، فرويت أجزاء منه في أبواب متفرقة، ومدار الإسناد على أبي بلج يحيى بن سليم بن بلج؛ فقد روى عنه أبو عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري وشعبة بن الحجاج العتكي، وأكثر الروايات عن أبي عوانة.

وقد اقتصرت في التخريج على من ساق الخبر تاما.

الخلاصة

تبيّن بما تقدم:

[١] نزول آية التطهير في أصحاب الكساء -عليهم السلام- دون نساء النبي -صلى الله عليه وآله- واختصاصها بهم -عليهم السلام-.

[٢] دلالة الآية على عصمة أهل البيت -عليهم السلام- وعلى جلالتهم وعظمتهم.

[٣] اندفاع تمام الإشكالات التي ذُكِرَت في سياق نقد استدلال الشيعة بالآية الشريفة.

والحمد لله وحده.

الفهرس

تمهيد ٢
سبب النزول ٤
توضيحات تتعلق بالآيات ٦
تعيين المراد بـ"أَهْل الْبَيْتِ" في الآية ١٠
[تغيّر العنوان المتعلق للخطاب] ١٢
[تذكير الضمير] ١٢
[رجوع الخطاب إلى التأنيث] ١٣
[اقتضاء توكيد التطهير لحتميّته] ١٣
[إفراد كلمة "البيت"] ١٤
[عدم تعارف تعلّق عنوان "أهل البيت" بنساء النبي -صلى الله عليه وآله-] ١٤
[ارتكاز الفضل في الآية] ١٦
[عدم مناسبة ما تعلق بنساء النبي -صلى الله عليه وآله- للفضل] ١٦
[ثبوت نزول آية التطهير باستقلال] ١٧
[منع أم سلمة من الدخول في الكساء] ١٩
[حصر النبي -صلى الله عليه وآله- أهل البيت في أهل الكساء -عليهم السلام-] ... ٢٣
[اختلاف ظروف نزول آيات النساء مع آية التطهير] ٢٥
[تفسير الإمام الحسن -عليه السلام- للآية] ٢٦
الخلاصة ٢٧
إشكال مجيء الآية في سياق آيات نساء النبي -صلى الله عليه وآله- ٢٨
علاقة آية التطهير بالسياق ٣٢
إشكال كون آية التطهير جزء آية ٣٤
التزام بعض علماء أهل السنة باختصاص الآية بأصحاب الكساء ٣٦

توضيح المراد بالآية وبيان دلالتها على العصمة..... ٣٨
رد بعض الإشكالات المتعلقة باستفادة العصمة من الآية ٤٢
[لزوم عصمة الصحابة في بدر] ٤٢
[دعوى كون الإرادة تشريعية] ٤٣
[الإلزام بالجبر على تقدير الإرادة التكوينية] ٤٤
[عدم انسجام الدعاء مع العصمة]..... ٤٥
إشارة إلى الأخبار الواردة في الآية ٤٧
[صحيح أبي بصير في الإمامة]..... ٤٧
[خبر ابن عباس في جملة من فضائل أمير المؤمنين -عليه السلام-]..... ٥١
الخلاصة ٥٦